الظاهرة النّحوية في السّورة القرآنية

(دراسة ترابطيّة)

الأستاذ المساعد الدكتور
أحمد رسن صحن
جامعة البصرة - كلية الآداب

الظاهرة النّحوية في السّورة القرآنية (دراسة ترابطيّة)

الأستاذ المساعد الدكتور
أحمد رسن صحن
جامعة البصرة - كلية الآداب

الخلاصة :

درس الباحث الظاهرة النحويّة في إطار سياق السّورة القرآنية متجاوزاً الجملةَ أو التركيبَ المفردَ ؛ لأنّ النصّ القرآني ذو سياق لغويّ متّصل في بنية السّورة يكوّن معناه بوساطة تراكيبه المتعدّدة في جميع آيات السّورة. فتأمّلَ في أربع ظواهر نحويّة هي : التّقديم والتأخير ، والتّوكيد ، والحذف ، والتّعليل. وركّز على أبرز مظاهر كلّ واحدة من هذه الظواهر محلّلاً ومقارناً ومفسّراً العلاقات الرابطة فيما بينها ، وقد تبيّن أنّ الظاهرة النحويّة أساس قويّ يُبنى عليه المعنى العام ، وهي كثيرة تحتاج إلى دراسة مفصّلة تستكشف قانونَها العام في جميع سور القرآن ؛ كونها تعمل على إنتاج المعنى بصورة أكثر وضوحاً وأعمق فهماً يندرج في أفق التلقي الذي ينفتح بوساطة تلك الظواهر على حلقات متسلسلة من المقاطع تستكمل فضاءَ المعنى ، وتشير إلى نسق علائقي متجذّر في النصّ القرآنيّ ينبغي أنْ يتوجّه نحوه الدرس النحويّ القرآنيّ ؛ لإنتاج دراسات تكشف ذلك النسق بجميع أبعاده و تجلياته.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الظاهرة النحوية الأكثر حضوراً في سياق السّورة باستقراء تراكيبها وانتخاب المهيمن النحويّ منها مع محاولة تحليل المعنى النحويّ وبيان علاقته بالبنية العامة للسّورة من أيّ جانب من جوانبها إنْ وُجد إلى ذلك سبيلاً ، ولاسيما المعنى العام الذي تتفاعل الآيات معاً لإيجاده كاملاً ، ففي مثل هذا التوجّه البحثيّ خروج عن الدراسة النّمطية التي تتبنّى الجملةَ ميداناً لإظهار قابليتها في البحث النحويّ القرآنيّ. وهو يُعطي فهماً أوسع وأعمق من الاقتصار على فهم الجزئيات منفصلة بعضها عن بعض ، فالمحلّل يدخل ميدانَ نحو النصّ الذي((يعنى بتقديم تفسير أرحب ورؤية أكثر إقناعاً ممّا عليه في الأنحاء التقليدية (نحو الجملة) ، إذ يهتم بما هو أكثر عمومية وشمولية فيما يرتبط بالأشكال التي يتيحها النصّ))[1].

ولا يقتصر على دراسة الجملة التي تُؤثّر في تقطيع النصّ المتصل. وتعمل على فهم المعنى منفصلاً عن سياقه العام ، فيُقلّل ذلك النظر إلى حدود الجملة من تجلّي المعنى((ولا يمكن تتقرر بالتحديد الدلالة الحقيقية لكل جملة داخل ما يسمى بكلية النصّ ... إلا بمراعاة الدلالات السابقة واللاحقة في ذلك التسلسل / التتابع الجملي ، إذ ينظر إلى النصّ مهما صغُر حجمه على أنّه وحدة كلية مترابطة الأجزاء))[2]. أو ربما ينحرف الفهم عن دلالته المقرَّرة في داخل سياقها الأصيل إذ إنّ((بتر جملة ما من

مجموعة من التتابعات الجملية يؤدي إلى غموض معناها الفعلي ، ممّا يحتم المعالجة الكلية))[٣]. وهذه الرؤية الواسعة إلى إطار السورة لفهم ظواهرها يُقرّها الإيمان بمنهج تفسير القرآن بالقرآن في جميع مراتب التفسير وأبعاده اللّغويّة وغير اللّغويّة.

وهو منهج أصيل يتأسّس من داخل النصّ القرآنيّ ؛ لأنّ تطبيقاته متاحة ومتكثرة في دلالات النصّ المتناسقة. ويمكن أنْ لا يقتصر الباحثون في دراسة الظاهرة النحويّة على النماذج المتداولة في تطبيقات نحو النصّ وعلم لغة النصّ. بل يرصدون الظاهرة اللّغويّة الكثيرة التي تتجلّى بوضوح في القرآن و تُستقرأُ استقراءً تاماً من غير أنْ يتقيّدوا بالمعطيات المنجَزة عند الدارسين في هذا المجال مقلدين رؤاهم لأنّ القرآن تكثر فيه الظواهر النحويّة التي تؤدي إلى تشكيل نظامه اللّغويّ الخاصّ المعبّر عن قانون أعلى وأسمى وضعه الله تبارك وتعالى في هذا العالم وغيره من العوالم الوجودية ، وهو يفتح رؤى جديدة من التلقي كلّما ارتقى المتلقون في درجات المعرفة ، وزادت آليات الفهم عندهم.

هذا المنهج المتابع للظاهرة النّحويّة يفرض على الباحث استحضار السّورة. فيعتذر عن إدراجها في بحثه ويُحيل القارئَ على المصحف الشريف للتّخلص من الإطالة. فيُدرك مواضع التّحليل فيه ، والروابط المعنوية بين الآيات التي فيها مواضع كلّ ظاهرة نحويّة وجزئيات الظاهرة المدروسة. فيأنس بها ويطمئن بعمل الباحث ، ويتابع حركة التّحليل ونتائجها. وقد لاحظ الباحث مجموعة من الظواهر النّحويّة في السّور القرآنية نذكر منها :

أولاً ـ التقديم والتأخير

نأخذ نماذج يتجلّى فيها هذا الاستعمال تجلّياً يحتلّ المرتبة العليا في الكثرة والتعدّد من بين التراكيب النحوية الأُخر في السّورة. ولا ننظر نظرةً مجزأة إلى تركيب واحد كما هو متداول في الدّراسات النّحويّة الباحثة في أسلوب القرآن محاولةً أنْ تتعرف على معانيه و أسراره في حدود الجملة أو الآية[٤] لأنّ النصّ القرآنيّ واحد لا يتفكّك معناه بعضه عن بعض ، ولا يُقْتَطَعُ منه جزءٌ أساسٌ يُسهم في إكمال وحدته الدّلاليّة التّامة. و القرآن تتّسع دائرة فهمه بوحدته ، وتُشرق أشعة نوره بقوةٍ من وجوده المتوحّد. ولتكنْ البداية بسورة تُشعر بالأمن والأمان والإيمان في ظلّ الرّحمة الإلهية بين يدي المالك وهي (سورة الملك).

في هذه السّورة أبرز(التقديم والتأخير) للقارئ أُسلوبيةً مكثّفةً على نحو مثير ومؤثر فيه ؛ لهذا يتّجه التّحليل التّرابطيّ في دراسة آياتها نحو أمرين : الأوّل المعنى والثاني العلاقة بين المعاني والبنية الكلية للسّورة. وبكلّ تقديم وتأخير يُعطي معنىً جديداً يُثبتُ الاختصاصَ لجميع تلك المعاني المعطاة. ويرسم رؤية موضوعية موضوعُها العام الملكُ تمتدّ مساراته الدّلاليّة نحو تجلياته في(الخلق وفروعه : الأرض والنجوم والإنسان والمعاد إلى المالك والثواب والعقاب) ففي قوله﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ (الملك:من الآية ١) يفهم المتلقي أنْ لا أحد غيره يملك اليد الأقوى التي تُمسك بالملك كلّه. فأينما وُجِد ملكٌ وعند أيّ مالكٍ غيره

فهو في قبضته تعالى. وهذا هو الاختصاص الواقعي إذ((الملك بيده لا بيد غيره))[٥]. وبصورة أوضح ورؤية أعمق((يشمل بإطلاقه كل ملك ، وجعل الملك في يده استعارة بالكناية عن كمال تسلّطه عليه وكونه متصرفا فيه كيف يشاء كما يتصرف ذو اليد فيما بيده ، ويقلبه كيف يشاء فهو تعالى يملك بنفسه كل شيء من جميع جهاته ، ويملك ما يملكه كل شيء))[٦]. وهذا الملك يكشف وراءه مالكاً يمتلك قدرة هائلة لا حدّ لها حتى أنّ ذيل الآية يُصرّح باسمه (القدير) في أجواء(التقديم والتأخير)(وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(الملك: من الآية ١). فتقديم الجار والمجرور المتعلق بالخبر(قدير) يعمل على ترسيخ القدرة الشاملة على كلّ شيء في وعي المتلقي ، ويُثبت لله دوام الملك من غير أنْ يخرج من ملكه مملوكٌ.

فالقدرة المطلقة هي التي تحفظ الملك المطلق ، وتتصرف به كيف تشاء تحت هيمنة الأسماء الحسنى التي تعمل على إيجاد النّظام الأحسن وتدبّره كلّ حين بإذن ربّه. فهنا((إشارة إلى كون قدرته غير محدودة بحدّ ولا منتهية إلى نهاية. وهو لازم إطلاق الملك بحسب السياق ، وإن كان إطلاق الملك وهو من صفات الفعل من لوازم إطلاق القدرة وهي من صفات الذات))[٧].

وتلك القدرة هي التي أوجدتْ كلَّ شيء وامتلكته. وهذا الخلق العظيم الدّال على عظمة مالكه يستحضره السّياق مقدّماً إيّاه على غيره من المعنى في (مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ)(الملك: من الآية ٣) فالجار والمجرور(في خلق الرّحمن) مقدَّم على المفعول به المجرور(من تفاوت). ويُبيّن لنا أنّ ما نراه أينما تولّينا هو خلقه تعالى. وسعة الخلق لسعة خالقه الرّحمن المتصل به خلقُه على الدّوام من غير أنْ يستقل عنه في وجوده طرفة عين. ولعلّ هذه الإضافة النّحويّة(خلق الرّحمن) موحية بالملك والرّبط والفقر والحاجة في الخلق للرّحمة الواسعة. وأنّها تدلّ مع تركيبها النّحويّ المنفي على جمال الخلق وتناسقه((وأضاف خلقها إلى الرحمن ؛ لأنّها من أصول النعم الظاهرة ... وسلب التفاوت عنها لبساطتها واستدارتها ومطابقة بعضها بعضاً وحسن انتظامها وتناسبها))[٨] فإنّ في الآية((نفياً عاماً أنْ يكون فيما خلقه تفاوت))[٩].

فهذا الخلق الجميل الظريف مسرحٌ للنّظر الحسيّ ومجال للتّأمل الفكريّ. ونافذة للقلب لمشاهدة الملكوت. فيصوّر لنا النصّ في ضوء مظاهر التقديم والتأخير جهةً أخرى تتكفّل ببيان هيمنة المالك ، وفاعليته بالارتباط بين جمال السّماء وتزيينها بالنّجوم ، ودورها في نظام الخلق الأحسن(وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ) ﴿الملك: من الآية ٥﴾ ودور المالك المتجلّي في العالم الآخر(وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ)(الملك:من الآية٥) فهنا يتجلّى التّقديم بالجار والمجرور(لهم) ليُظهر ذلّتهم وضعفَهم. فهذه المجموعة من(الشّياطين) على الرغم من قوتهم وسرعة حركتهم في هذا الخلق إلا أنّهم تحت الهيمنة الإلهية لا يهربون منها بل لهم عذاب السّعير. وهكذا حال الكافرين في الذّل ، والاستكانة ، والضعف في ذلك العالم. فهم في ظلّ الرّبط

النّصيّ بالواو الجامعة للأطراف مع الشّياطين في العذاب. ومعهم في إشارة التّقديم بالجار والمجرور(وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ)(الملك :من الآية ٦) المماثل للصورة الأولى عن الشياطين في الآية رقم(٥). و ينقل لنا النصّ في إطار مظهرية التقديم والتأخير أجواءَ العذاب في جهنم التي(إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا)(الملك:من الآية ٧) ويصوّر حالها بالجار والمجرور(لها) الذي هو حال متقدّم لشهيق(١٠). ولتكثيف هذه الظاهرة ينقل السّياق حرف الجرّ والمجرور (فيها) فنجده مقدّماً في(كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ)(الملك: من الآية ٨) على نائب الفاعل(فوج) فالإلقاء منحصر في جهنم. ثمّ يفتح النصّ باب التقابل الدّلاليّ مصوّراً للقارئ الخاشين ربَّهم ومالكهم. وربُّهم أعطاهم المغفرة والأجر العظيم. وهذا العطاء مخصّص لهم بدليل هذا التقديم في قوله تعالى(لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)(الملك :من الآية ١٢).

ونجد التماثل في تقديم الجار والمجرور بعد توجّه التعبير القرآني نحو ملك الدنيا بعد أنْ فرغ من مشهد ملك الآخرة في (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا)(الملك:من الآية ١٥)إذ قُدّم (لكم) على مفعولي (جعل) لأنّ هذه الأرض جعلها الله لمنفعة الإنسان. فيُنشئ عليها حياةً طيبةً ، ولكنها غير باقية. فالجميع منتقلون إلى المالك بعد أنْ ينقضي تمليكهم في هذه الأرض بحسب جزء الآية عينها (وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) ومن هنا ينبغي أنْ لا يغفل الإنسانُ عن تلك العودة الميمونة ، ولا يغترّ بزينة الدنيا ، ولا يطغى ، ولا يأمن مكرَ الله وانتقامَه الشديد الذي قد ينزل عليه في أيّ لحظة من حياته. قال تعالى (يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا)(الملك:من الآية ١٧) كاشفاً هيمنتَه وسلطانَه ، وقهرَه بـ(عليكم) المقدّم على المفعول به ، فدلالة الحرف(على) مشحونة بإيحاءات الاستعلاء المقترنة بالشدّة المكتنزة في لفظ (حاصباً).

ومرة أخرى يُظهر النصّ مالكيةَ الله تعالى وعطاياه للإنسان من نعم شتى ، وأعظمها نعمة الإيجاد ونعمة قواه التي ينال عن طريقها سعادته(قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ)(الملك :من الآية ٢٣) وواضح ما أفاده التقديم من إشارة إلى العناية بهذا الإنسان كونه خليفةً لمالكه في هذه النشأة. ثمّ ينتقل إليه بعد انقضاء مدة حياته على هذه الأرض كما في نهاية الآية المعبّرة بصراحة عن نهاية حركة الإنسان(وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)﴿الملك : من الآية ٢٤﴾.

يتّضح ممّا تقدّم تمحورُ التّراكيب ذات التّقديم والتأخير حول موضوع الآية واسمها المبارك (الملك) الذي تبيّنه السّورة من جهات متعدّدة حتى تنتهي هذه المظاهر النّصيّة بخاتمة تدمج المسافات والرؤى والأبعاد الوجودية عن جميع العوالم في جامع يحقّق السّعادة الأبدية. وهو التّوكل على المالك الحقيقي في

كلّ شيء (وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا)(الملك :من الآية ٢٩) وهو بتعبير آخر يكشف الفقرَ في المخلوق. وهي حقيقة يغفل عنها الإنسان لانشغاله بالملك الاعتباري الذي بوساطته ينظّمُ علاقاته وربما انشدّ إلى ملكه المتوهَّم ، وأخلد إليه متمنّياً الخلودَ في نعيمه منكراً النعيمَ المقيمَ في الحياة الأخرى.

ونتأمّل في سورة مباركة أُخرى تُلقي فيها الظاهرة المبحوثة بظلالها على المعطى الدّلاليّ على نحو التّرابط الدائم عبر إنشاء حلقات معنوية متواصلة ومتصلة تندفع من بطونها ومن انضمام بعضها إلى بعض في موجاتٌ من فيض المعنى الذي لا يقف عند حدّ وهي(سورة الرّعد) ففيها ما لا يقلّ عن (٢٨) موضعاً آثر مبدعُ النصّ توظيفَ انتقالات العناصر اللّغويّة من مراتبها الأصلية إلى مراتب أُخر لتحقيق الغرض من السّورة ، وتشكيل بنائها على أجمل شكل ممكن.

يبدأ النصّ بإظهار التقديم والتأخير من(لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)(الرعد :من الآية٢) ليشدّ القارئ إلى أفضل لقاء في الوجود. وهو لقاء العبد بربّه وسيّده الذي تدلّ عليه آثاره البارزة في اتساع الأرض فضلاً عن الجبال الشامخات فيها. وهنا يركّز السّياق على تقديم حرف الجر(في) والمجرور مع اختلاف دلالته النحوية في تراكيبه. وهي﴿(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا) و(جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ) و(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ)(الرعد : من الآية ٣)﴾ و﴿(وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) و(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)(الرعد:من الآية ٤)﴾ و(هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(الرعد :من الآية ٥). ليُبيّن أهمية هذه المخلوقات لما في خلقها من أدلة ، وآيات تدلّ على فاعلها((وجعل الأشياء المذكورات ظروفاً لآيات لأنّ كلّ واحدة من الأمور المذكورة تتضمن آيات عظيمة يجلوها النظر الصحيح والتفكير المجرد عن الأوهام))[١١].

ويُظهر السّياقُ على لسان الكافرين تجلياً من تجليات الظاهرة بتقديم الجار والمجرور(عليه) في (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ)(الرعد :من الآية ٧) لعنادهم شخصيةَ الرّسول مطالبين بآية. ووظيفة الرّسول هي الإنذار رادّاً اقتراحَهم بالقصر(إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ)(الرعد: من الآية ٧) وليس مُوجِداً الخوارقَ. فهو بشرٌ لا يملك لنفسه شيئاً ، وعليه تبليغ الرّسالة[١٢] .وبتقديم(وَلِكُلِّ قَوْمٍ)(الرعد : من الآية ٧) الذي هو الخبر على المبتدأ (هادٍ) يُبين السّياق((سنة الله في عباده أنْ يبعث في كلّ قوم هادياً يهديهم))[١٣]. والنتيجة المترتبة على هذا التركيب ارتباطه بالظاهرة المدروسة من أجل قوّة البيان ، وتفاعله في تثبيت الدّلالة على التّوحيد الإلهيّ و الرّبوبيّ في جميع مسارات النصّ ومقاطعه.

يواصل النصّ انتخابه(التّقديم والتأخير) المنسجم مع رؤيته التّوحيدية من الجار والمجرور المقدَّم على المبتدأ في (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ)(الرعد : من الآية ١١) لبيان أنّ((للعبد ملائكة يتعاقبون عليه ، حرس بالليل وحرس بالنهار ، يحفظونه من الأســواء والحادثات))[١٤]. وهو نتيجة طبيعيــة بسبب فقر الإنسان

وعجزه عن حفظ ذاته وحمايتها. بل لا شيء يتولّى ذلك إلا الحافظ الحقيقي

وهذا ما صرّح به النص في(وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)(الرعد : من الآية ١١) نافياً وجودَ والٍ غيره يتولّى حفظهم مؤكّدا ذلك بتقديم الخبر(لهم) فضلاً عن استعماله (من) المؤكدة داخلة على المبتدأ(والٍ). ثم يأتي دور السّياق في بيان قدرة الله في هذا الكون التي تتجلّى بالأسباب التي أعطاها تعالى هذه الفاعلية في النّظام الأحسن مركّزاً على الوساطة في التّدبير(وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ)(الرعد : من الآية ١٣) فهو الفاعل. وتقديم (بها) على المفعول به (مَنْ) لإيضاح أنّ أفعاله تصل عن طريق الأسباب التي أوجدها . فالوسائط لا تعمل مستقلة بدليل نسبة الأفعال إلى المدبّر والخالق. وهنا يأتي الحصر بالتقديم في (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ)(الرعد : من الآية ١٤) ليوضّح أنّ الدّعوة الحقيقية التي هي مسموعة ثم مستجابة هي من ملكه لا ملك غيره[١٥].

وتصل الدّلالة التّوحيدية ذروتها في مجلىً من مجالي التّقديم (لله) على الفعل(يسجد)(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)(الرعد : من الآية ١٥) الدال على الانقياد والخضوع من الجميع لله وحده لا لغيره [١٦] في حين يأتي الاستفهام للإنكار الشديد في(قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا)(الرعد : من الآية ١٦) على اتّخاذ هؤلاء من(دون الله) أولياء. وهذا التّقديم يُشعر بكون الأولياء في غاية العجز عن نفعكم[١٧] وفي الآيات بعدها تتبيّن فاعليةُ الله تعالى في هذا الخلق العظيم. ومنها إنزال الماء مبتدأً من السّماء(أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)(الرعد : من الآية ١٧) فقُدّم الجار والمجرور ؛ ليحكي هذه الحقيقة التي يشاهدها الناس ، فهي نازلة من السّماء غير أنّ النصّ القرآنيّ ينطق بباطن ما هو ظاهر لنا ؛ ليعمّق رؤيتنا إلى أنّ المنزِل للمطر هو خالقه ومالكه وإنْ بدا لنا نزولُ المطر بنفسه ، فهو في الواقع محتاج إلى مَن يُنزله. ويربط النصّ بين زبد الماء الطافي فوقه بعد نزوله من السّماء بإذن خالقه وبين المنصهر من الذّهب والفضة في البوتقة. فلهما زبدٌ غير صالح حاله حال زبد الماء ، فقدّم الخبر(ممّا يُقدون) على المبتدأ((لأنّه موضع اعتبار أيضاً ببديع صنع الله تعالى إذ جعل الزبد يطفو على أرقّ الأجسام ، وهو الماء وعلى أغلظها وهو المعدن ، فهو ناموس من نواميس الخلقة فبالتقديم يقع تشويق السامع إلى ترقّب المسند إليه))[١٨].

ويأتي التّقديم والتّأخير للجار والمجرور في ثلاثة مواضع هي﴿(لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى)(لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)(أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ)(الرعد : من الآية ١٨)﴾ وهي أخبار للتنويه بشأن من استجابوا لربّهم[١٩] وبمنزلتهم في الآخرة. مع بيان حاجة المعاندين لأيّ شيء في الآخرة ليستبدلوه بمنازل الآخرة ، ولينالوا الحسنى عند ربّهم إذ((لو كانوا يملكون غاية مناهم في الحياة وما فوق هذه الغاية رضوا أنْ يفتدوا بهذا الذي يملكونه فرضاً عمّا يفوتهم من الحسنى))[٢٠]. وتخصيص أولئك بسوء الحساب ، و((لهم عند الله أنْ يأخذهم بذنوبهم كلّها ، فلا يغفر لهم منها شيء ، ولكن يعذبهم على جميعها))[٢١].

وفي (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ)(الرعد :٢٢) يركّز القرآن هنا على المنزلة العظيمة لمن اتّصفوا بهذه الصفات. فقدّم(لهم) على المبتدأ(عقبى الدار) لتفيد دلالة القصر. فلهم عقبى الدار ، وليس لغيرهم المتصفين بأضداد صفاتهم[٢٢].

وتركّز آية أُخرى على اختصاص غيرهم بالمنزلة الدانية بسبب صفاتهم وأعمالهم الباطلة (وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)(الرعد : ٢٥) فضلاً عن تكرار(لهم) تأكيداً وإيذاناً باختلاف اللّعنة وسوء الدّار[٢٣]. وتستمر آثار التّقديم والتّأخير في دلالة النصّ في (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ)(الرعد : من الآية ٢٧) فنرى(عليه) المقدّم على نائب الفاعل(آية) يُخصّص نزول الآية على الرّسولﷺ في سياق اقتراح الكفّار ذلك. ومثله (إليه) المتقدم على المفعول به(مَنْ) في (وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ) لبيان((أنّه تعالى يشاء هداية من أناب ورجع إليه ، ويضلّ من أعرض ولم ينبْ ... ويهدي إليه بمشيته من أناب إليه))[٢٤]. ويشكّلُ الإيمان بالله أساسَ السّعادة ، ومفتاح البركة. فيحدّد القرآن أنّ سبيل الاطمئنان هو بذكر الله(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(الرعد : من الآية ٢٨) فبذكره وحده تطمئن القلوب دون غيره من الأمور[٢٥] فضلاً عن التنبيه بـ(ألا) لأهمية ذكر الله ، ودوره في خلق سعادة الإنسان. فهو الواحد الذي يُعتمد عليه في كلّ أمر إذ لا أحد غيره يقدر على ذلك(هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ)(الرعد :من الآية ٣٠) وتقديم الجار والمجرور (عليه) و(إليه) لاختصاص التّوكل عليه لا على غيره ، و المتاب إليه لا إلى غيره لتوحّده بالربوبية كان التّوكّل عليه ، ولاتّصافه بالرّحمة الواسعة كان المتاب إليه[٢٦].

نلاحظ النصّ يؤكد هذه الحقيقة. وهي أنّ كلّ أمر بيد الله ، وهو مالكه في ضوء البيان الواضح من تقديم الخبر على المبتدأ في قوله(بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا)(الرعد : من الآية ٣١) كما تُبيّن الآيةُ قانونَ التّوحيد في الوجود ، فلا فاعل إلا الله. ولا هادي إلا هو(وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(الرعد : من الآية ٣٣) فقدّم(له) على المبتدأ(هاد) للفاصلة القرآنية فضلاً عن نفي هداية غير الله مَنْ أضلهم الله ((بإمساك نعمة الهدى منهم))[٢٧].

وتتجلّى أفعال الله في هذه الدّنيا لهؤلاء الضّالين وفي الآخرة(لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ)(الرعد : ٣٤) ولهم عذابٌ مختصٌّ بهم. ونفى السّياق أنْ يكون لهم واقٍ من عذابه. وتقدّم(لهم) لفقرهم وذلتهم. وكذلك تقدّم(من الله) لأنّه المالك في الآخرة ، فهو لا يجعل لهم واقياً من العذاب.

وفي هذا المعنى العام الذي يتمحّـــور حول وحدانية الله تعالى وهي في خطاب على لسان الرّســـول

الخاتم ﷺ يتعلّمه من الله بدليل فعل الأمر(قُلْ)(قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ)(الرعد : من الآية ٣٦) فله العبادة وإليه دعوة الرّسول النّاسَ لعبادته. وإليه العودة والرّجوع ، فلا أدعو إلى غيره ، وإليه مرجعي لا إلى غيره(٢٨). ونتيجة التّوحيد لا يقدر الرّسولﷺ أنْ يجد له والياً أو واقياً إذا اتبع أهواء المنكرين من أهل الكتاب في ضوء البيان الآتي الذي يمثل قانوناً على شكل تركيب شرطي(وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ)(الرعد :من الآية ٣٧) والمعنى((ليس لك وليٌّ يلي أمرك من دون الله. ولا واقٍ يقيك منه))(٢٩) ويدلّ فعل الإرسال على فاعله سبحانه. فالله هو خالق الرّسل ، ومرسلهم لهداية النّاس ، فالرّسل من عباده الذين هم بشرٌ اختصّهم بأزواج وذرية(وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً)(الرعد : من الآية ٣٨) فقدّم(لهم) في الجملة لمراعاة ذلك الاختصاص. والرّسل تحت هيمنة الله لا يفعلون شيئاً إلا بإذنه(وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)(الرعد : من الآية ٣٨) إذ لا يأتون بآية برأيهم. بل هو تابع للقاعدة القرآنية التي تُثبتُ أنّ لكلّ وقتٍ كتاباً أي((لكلّ أجلِ أمْرٍ قضاه الله كتابٌ قد كتبه فهو عنده))(٣٠)

وهي ((سنة الله الجارية في الرسل أنْ يكونوا بشراً ... فليس للرسول وهو بشرٌ كسائرهم من الأمر بل لله الأمر جميعاً فهو الذي يُنزل الآية إنْ شاء ... إذا اقتضت الحكمة الإلهية ... لكل وقت حكمة تناسبه وحكم يناسبه ، فلكل وقت آية تخصّه))(٣١) فهو الفاعل الحقيقي الذي يملك أصل جميع الأمور في مكان عظيم المعبَّر عنه بالظرف(عنده)

(وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)(الرعد : من الآية ٣٩) وهو يمثّل أصل الكتب((لا يُغيّر ولا يُبدّل))(٣٢) فتقديم الظرف(عنده) يُشعر بالمحل الإلهي الشامخ.

ويأتي سياق الحديث عن الرّسالات ، وبعثة الرسل ؛ ليؤكد دورَ الرّسول والدّور الربوبيّ في الموقف البشري من الرسالة بأسلوب الحصر(فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)(الرعد : من الآية ٤٠) فقد أوجبت الآية على الرّسول البلاغ ، والتّبليغ ، وإيصال الرّسالة واضحةً للنّاس. والله تعالى يحاسبهم على أساس مواقفهم من تلك الرّسالة. ففي هذا السّياق المفعم بالتّوحيد الأفعالي وحقيقته أنْ لا مؤثر في الوجود إلا الله نجد القرآن يُصرّح بأنّ كلّ شيء له عندما يظنّ الماكرون من الناس استقلالهم بالمكر وقدرتهم على ذلك المكر.

فيقول:(فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا)(الرعد :من الآية ٤٢) فمالك المكر كلّه هو الله لا أحد غيره. يتجلّى ممّا تمّ بيانه وتحليله من التّقديم والتّأخير في هذه السورة أنّ النصّ وظّف هذه الآلية الأسلوبية لإيضاح التوحيد الأفعالي لله تعالى. فالفعل يرتبط على الدّوام بفاعله الحقيقي ومالكه. وكذلك ترتبط الظاهرة المنظورة

باسم السّور(الرعد) فالرعد سواء كان بمعنى الصوت أم كان بمعنى ملك من الملائكة يمثّل فعلاً من أفعاله تعالى الفقيرة إليه على الدّوام ولولا المدبّر للرعد لما ظهر في الوجود ولا ظهرتْ آثاره على المخلوقات.

ومن السّور التي يكثر فيها التقديم والتأخير(سورة الحديد) التي نحاول أنْ نختار منها بعضَ الآيات التي تُبيّن مواضع تلك الظاهرة ، ونقوم ببيان الترابط الدّلالي فيما بينها ، فالآيات الأولى من السورة المباركة تُشكل مقطعاً فيه مجموعة من مظاهر التقديم والتأخير ، منها الجار والمجرور(لله) المقدَّم على الفاعل في(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)(الحديد : من الآية ١) لأنّ التسبيح خالص له. فهو أهل لهذا التسبيح العام ؛ لأنّه منزّه عن كلّ نقص وعيب فجميع مخلوقاته تسبّحه وهو مالكها كلّها بدليل قوله (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)(الحديد : من الآية ٢) أي له التصرّف فيها ولا يمنعه أحدٌ منه. وقد ملّك الآخرين ما يملكون[٣٣] ومن أدلة ملكه الإحياء والإماتة. وذيل الآية نفسها فيه تقديم الجار والمجرور(عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)على الخبر(قدير) للإخبار عنه تعالى بعموم القدرة على كلّ شيء[٣٤]. فصفة القدير تُبيّن عظمة المالك ، كما أنّ ذيل الآية رقم(٣) يكشف صفةَ العليم التي تفيد المبالغة وعموم الإحاطة بكلّ شيء من خلال تقديم الجار والمجرور (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(الحديد : من الآية ٣). كذلك الآية(هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(الحديد : ٤) تُضيف صفةَ (بصير) إلى الصفات الأُخر ؛ ليعلمَ الإنسان أنّ الله علمه نافذ في أعماله جميعها. ثمّ يرتدّ النصّ إلى بدايته أسلوباً ودلالةً في(لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)(الحديد:٥) فيحضر التّقديم والتّأخير للتأكيد على ملكه تعالى السماواتِ والأرضَ. فكان في مفتتح السورة مبنيّاً عليه التصرّف في المخلوقات وفي هذه الآية مبنيّاً عليه رجوع الموجودات إليه[٣٥] وانتهاء الجميع إليه((إنّ جميع من ملّكه شيئاً في دار الدنيا يزول ملكه ، ولا يبقى ملك أحد ، ويتفرّد تعالى بالملك))[٣٦].

وينتقل النصّ إلى إبراز ملك الله تعالى. و يُبيّن مظاهره في مراتب الوجود ، فالمعنى العام(الملك) يتأصّل في ضوء نظرية الاستخلاف ، وهي جعل الله الإنسانَ خليفةً لله في هذه النشأة وأعطاه من ملكه ما يتكامل به ، وينال سعادته. فالذي يُنفق ممّا أُعطي يجد له أجراً كبيراً في النشأة الآخرة. (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)(الحديد:٧).

ويأتي النصّ حاثّاً على الإنفاق في سبيل الله كاشفاً وراثةَ الله كلَّ شيء بوساطة التقديم(وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)(الحديد: من الآية ١٠)((فما أقبح للعاقل أنْ يبخل بمالٍ يكون عارية بيده من غيره ، وسينتقل إليه وهو يأمره بالإنفاق الذي فيه صلاح له ولغيره ، فالآية من أعظم الحثّ وأبلغ البعث على الإنفاق في سبيله))[٣٧] فالله المالك يحبُّ أنْ تصل نعمه و خيراته التي أورثها عبادَه في هذه الدنيا إلى

غيرهم ؛ لتتكامل الإنسانية عن طريق نعمه. وتتخلّص من البخل والشحّ الذي يقطع وصول تلك النعم إلى المحتاجين والفقراء. والنصّ يؤكد دقةَ علمه تعالى بأعمال خلقه ، ومنها النفقات في سبيله. فهو بالأعمال خبيرٌ ومجازٍ العاملين لها. ونفهم هذه الدّلالة من تقديمه الجار والمجرور على متعلقه الاسم الأحسن خبير في قوله تعالى(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)(الحديد : من الآية ١٠). ويلحّ النصّ على النفقة في سبيله (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ)(الحديد :١١) وعدّ المنفقَ مقرضاً اللهَ قرضاً حسناً و((القرض أخذ الشيء من المال بإذن صاحبه بشرط ردّه))[٣٨] .

ونجد آثار هذا القرض كثيرةً. وهي مضاعفته ، وتخصيص أجر كريم للمنفق المفهوم من التقديم في قوله(وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ)(الحديد : من الآية ١١). وينتقل النصّ إلى المتصدّقين الذين جسّدوا الإنفاقَ في الواقع العملي امتثالاً للأمر الإلهي. فقد كرّر التّركيب نفسه بما فيه من التقديم(وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ)(الحديد : من الآية ١٨) لبيان أنّ لهؤلاء أجراً كريماً لا يناله غيرهم. والطبقة الثانية من الناس هم الشهداء الذين لهم مقام شامخ عند ربّهم بدليل قوله تعالى (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ)(الحديد :من الآية ١٩) فلهم حضور عند ربّهم ، ومعه أجرٌ لهم. وهذا التقديم للجار والمجرور(لَهُمْ أَجْرُهُمْ) على المبتدأ يؤكّد ذلك المعنى.

ثانياً ـ التوكيد

هذا الأسلوب يكثر في السورة بأدواته المعروفة في النحو العربيّ ، ويتفاعل بعضه مع بعض ؛ لينتجَ دلالات مفتوحة متّحدة مع سياقها من غير خروج عنه ، وهنا يعمل التّحليل على جمع هذه الظاهرة في رؤية واحدة تقدّم للقارئ هدفاً كلياً هو فهم دلالة التّوكيد جميعه في النصّ أو فهم دلالة النصّ من خلال التّوكيد بجميع أقسامه المستعملة في النصّ.

ويتناول البحث بعض السور منها(سورة الإنسان). فيبدأ النصّ (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)(الإنسان : ١) بالتوكيد بالحرف(هل) بمعنى(قد) قبل الفعل الماضي

لدلالته على كون الإنسان شيئاً غير مذكور أي لم يكن موجوداً بالفعل ، والاستفهام للتقرير الذي يفيد ثبوت المعنى وتحققه[٣٩]. ثم تبدأ عملية خلقه وإيجاده مفتتحاً السّياق هذه الحقيقة مؤكّداً بـ(إنّ) في قوله (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) (الإنسان: من الآية٢) لبيان عظمة خلقه الدّال على الخالق. ولمواجهة موجةَ إنكار الخالق. فهذه الآيات ترسم لنا رحلة الإنسان انطلاقاً من عنوان السورة ثم التنبيه إلى مرحلة كونه شيئاً ولكنه غير موجود في الخارج ، ثم أوجده خالقه في هذا العالم. وهو يتمتع بالهداية لمعرفة خالقه. وهي حقيقة تحتاج إلى تأكيد أنها من الله تعالى الذي خلقه على هذه الهداية والمعرفة الفطرية (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا

شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)(الإنسان :٣). فهو يكتنز في ذاته هداية فطرية وهي معرفة السبيل. فيتحرّك بعد بلوغه في هذا العالم ثم يكون على قسمين الشاكر والكفور، والنتيجة التي تتجلّى في الآخرة هي أنّ الكافر أُعدّ له عذابٌ بسبب كفره. وهو ما ذكر في(إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا)(الإنسان :٤) في أسلوب خبري مؤكّد بـ (إنّ) لإيجاد حالة الخوف في النفوس عند الالتفات نحو ذلك العذاب[٤٠].

وتقابل السّورة بين جزاء الكافرين وبين جزاء الأبرار بالتّوكيد نفسه بالحرف(إنّ) في قوله (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ)(الإنسان : من الآية٥) لإيجاد حالة الشوق بهذه البشارة الطيّبة. وربما لرفع حالة الإيمان بالغيب والجنة والنعيم الأخروي بهذا التوكيد... ونلمح التوكيد في قوله تعالى(يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا)(الإنسان: من الآية ٦) فالمصدر يفيد توكيد فعله. فالأبرار يفجّرون العينَ بإرادتهم ومشيئتهم[٤١]. وهذه الحقيقة غير مألوفة في هذه الدنيا ، فإنّ تفجير العين في هذه النشأة يحتاج إلى أسباب كثيرة في حين أنّ الأبرار((يجرونها حيث شاءوا من منازلهم إجراءً سهلاً لا يمتنع عليهم))[٤٢]. لذلك جاء التوكيد للفعل بمصدره كونه فعلاً يُنجز بطريقة جديدة ، ويتحقّق بإرادة هذا الإنسان الذي يشكّل محورَ هذه السّورة. فهو موجود عجيب له قدرة على التكامل. فيصلُ إلى مرحلة يفجّر العيونَ بسبب إخلاصه في عمله لوجه الله بسبب خوفه من ذلك اليوم[٤٣] كما قال تعالى(إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا)(الإنسان :١٠). وهو خوف شديد لشدّة ذلك اليوم ، وشدة أهواله.

وبعد أنْ يعدّد النصّ مظاهر الثواب الأخروي للفائزين يقدّم للقارئ لقطةً رائعةً مؤكدةً بالمصدر في قوله (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا)(الإنسان : ١٤-١٦) إذ الثمار هنالك مسخرة سهلة الأخذ. فهو تذليل شديد منته[٤٤]. ويتّضح التّوكيد بالمصدر كذلك في ((تقديرهم الآنية والأكواب على ما شاؤوا من القدر ترويهم بحيثٍ لا تزيد ولا تنقص))[٤٥] ويلخّصُ النصّ ذلك النعيمَ مؤكداً ومشيراً إليه كأنّه حاضر أمامنا بقوله(إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا)

ثم ينتقل الخطاب إلى الرسول الأعظم محمّدﷺ في الآية(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا)(الإنسان :٢٣) والتوكيد يتجلّى في الحرف(إنّ) والضمير المنفصل(نحن) والمصدر المؤكّد فعلَه ؛ لتثبيت الرسول في مواجهة المكذّبين فالقرآن ((المنزل نجوماً منه تعالى لم يداخلْه نفثٌ شيطاني ولا هو نفساني))[٤٦].

ويدلّنا النصُّ ثانيةً على فعل الخلق في قوله(نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ)(الإنسان: من الآية ٢٨) كما مرّ في بداية السورة (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) فالخاتمة النصية مرتبطة بالبداية. وما بينهما من أجزاء النصّ هي تفاصيلٌ لحياة الإنسان ، فالنصّ كلّه بنية واحدة لشرح حقيقة هذا الإنسان الذي يمتلك قدرة على التكامل نحو المعالي أو

الهبوط نحو الدّرك الأسفل من الوجود.

(**سورة الجنّ**)

عنوانها يدلّ على البطون والاستتار ، فهم مخلوقات لا نراهم تتولّى السورة شرحَ قصة نفر منهم مكثفةً أسلوب التعبير بأدوات التوكيد لتقريب المعنى للمتلقين. فتبدأ أغلب آياتها بحرف التوكيد (أنّ) أو(إنّ) لتكوين جمل متتابعة متشابهة في البدايات التي تنتهي في بؤرة واحدة هي صدق الخطاب المتداول في هذه السورة سواء في تلقيه من قبل الرّسول من مبدعه الأول تعالى (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا)(الجن:١) أو أحداثه المرتبطة بالجنّ أنفسهم وموقفهم من القرآن حين استمعوا له وإيمانهم بالتوحيد وغيرها من الأحداث المؤكّدة على الأنحاء الآتية : -

الأول = أنّه ⇦ (اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ)+ (تعالَى جدُّ ربِّنا ما اتَّخذَ صاحِبةً)(الجن:من الآية٣) + كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ()(الجن:من الآية٤) + ...(كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)(الجن: من الآية٦) + ...(لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا)(الجن:من١٩). فنجد الحرف(أنّه) حاضراً مع ضمير المفرد الغائب في بدايات هذه الآيات المباركة.

الثاني = أنّا ⇦ (سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا)(الجن:من الآية١) +(ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا)(الجن: من٥) + (لَمَسْنَا السَّمَاءَ)(الجن:من الآية٨) + (كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ)(الجن:من الآية٩) + (وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ)(الجن:من الآية١٠) + (مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ)(الجن:من١١) + (ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا)(الجن:من الآية١٢) + (لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ)(الجن:من الآية١٣) + (مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ)(الجن:من الآية ١٤). وفيها أتى الحرف المؤكّد(أنّا) مع ضمير جماعة المتكلّمين.

الثالث = أنّهم ⇦(ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا)(الجن:٧).

الرابع = أنّ ⇦ (الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ)(الجن:من الآية ١٨).

الخامس = إنّي ⇦(لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا)(الجن:من الآية ٢١) + (لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ)(الجن: من الآية ٢٢). وهنا تبدأ الآيتان بالحرف(إنّي)مع ضمير المتكلّم.

السادس = إنّ ⇦ (لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)(الجن: من الآية :٢٣).

السابع = إنّه ⇦ (يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا)(الجن:من الآية ٢٧).

الثامن = إنّما ⇦(قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا)(الجن:٢٠). وهو محور السّورة المتضمّن الإيمان بالله ورفض الشّرك به.

إنّ مظاهر التوكيد المتتالية في هذه السّورة جاءتْ لغرابة خبر استماع الجنّ للقرآن ، وهم أنفسهم أكّدوا ذلك عندما أخبروا فريقاً منهم. كما أكدوا إيمانَهم بالله ، وشططَ أقوال الشيطان في حين كانوا يعتقدون بصدق الأنس والجنّ فأخبروا بأعمالهم ومعرفتهم ثمّ إيمانهم كلّ ذلك لا يعلمه المتلقي ؛ لأنّه غير محسوس ، ويحتاج الاطمئنان به إلى هذا التكثيف في استعمال التّوكيد ، فكانت البدايات متّحدة في أداة التّوكيد الذي يشدّ القارئ إلى التصديق بمضامينها والإيمان بمحتواها.

ثالثاً . الحذف

نحاول – هنا – أنْ نبحث ظاهرةَ الحذف مجتمعةً في السّورة ، لنرى دورَها التّرابطي في تجلّي المعنى واستكمال الدّلالة محاولةً في الدّرس لتوسيع رؤية الفهم ، وانفتاح أفق التّلقي ، و ردم الفراغ الذي أوجدته دراسة الحذف في التّركيب القرآنيّ من غير نظر إلى وحدة السّورة ، ولا مراعاة لقانون ارتباطها ، فكانت تلك الدّراسات تخنق عنق النصّ ، وتحدّده في مبنى محدّد ، وتضع معانيه في سياج محكم ؛ فتكون نتائجه جاهزة أو نادرة في سبيل الفهم المتجدّد الذي هو من أبرز صفات النصّ القرآنيّ ؛ لهذا سنتأمل في(سورة الأعراف) فنجد فيها مجموعة من الجمل التي حُذف منها عنصر تركيبي وهي(كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ)(الأعراف:من الآية٢) الجملة الاسمية حذف المبتدأ و يقدّر (هو كتابٌ)(٤٧). أو هذا كتابٌ(٤٨). وقُدّر المبتدأ ؛ لأنّ (كتاب) نكرة لا تكون مبتدأً ، كما أنّ الجملة الفعلية(أُنزِلَ إِلَيۡكَ) التي هي صفة لكتاب حذف فاعلها. فيكون ((تنكير الكتاب وتوصيفه بالإنزال إليه من غير ذكر فاعل الإنزال كلّ ذلك للدلالة على التعظيم))(٤٩). والذي أنزله هو الله تعالى ، فالجملة تعتني بهذا الكتاب عناية فائقة حتى أنّها لم تذكر مَنْ أنزله لما للكتاب من أثر قويّ في ربط النّاس بمُنزِله ، عن طريق معرفة آياته. فهو معجزته الدّالة عليه ، وقد تجلّى الله في كتابه أقوى تجلٍّ لمن يقرأ أو يتدبّر.

وتأتي بعدها جملة(لِتُنذِرَ بِهِۦ)(الأعراف:من الآية٢) لبيان الغاية من إنزال القرآن العظيم وهي الإنذار. وقد أعرض النصّ عن ذكر المفعول به للفعل(تُنذر) لأنّ الخطاب يتمحور حول عظمة الكتاب وعظمة الرّسولﷺ ودوره في التّبليغ والإنذار والتّذكير . وهذا الشأن العظيم للكتاب وحامله لا يناسبه أنْ يُذكَر الكافرون الذين يتوجّه إليهم الإنذار ؛ لذلك صرّح بالمؤمنين(وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ) لمقامهم المعنوي المناسب والقريب من روح الكتاب و المرتبط بمقام الرّسولﷺ. فهم يعرفون الكتاب وصاحبه ، فاتّصفوا بصفة الإيمان بالله الذي هو هدف القرآن.

يبدأ النصّ بتفعيل قضية الإنذار والتّذكير والتّبليغ في أسلوب الأمر (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ)(الأعراف: من الآية ٣) مكرّراً حذف الفاعل للفعل(أُنْزِلَ) وربما الفاعل هو جبرائيل الذي أنزل القرآن على الرّسول من ربّه إلى الناس بدليل أنّ الإنزال من ربّكم ، وحذف جبرائيل ـ يُحتمل ـ ؛ لأنّه لا

يتّصل بالنّاس مباشرة بل الرّسولﷺ هو الذي يتّصل بهم يُنذرهم ويُذكّرهم لأنه بشر يأنسون به ، و يستطيعون التفاهم معه.

والنتيجة التي يقررها القرآن أنّ النّاس لا يتأثرون بهذا الكتاب ، ولا ينتفعون بالذكرى إلا قليلاً ، فنجد النصّ حذف منه المصدر الدّال على الحدث ، واكتفى بالصفة(قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) ربما لقلة حدوث هذا الفعل الذي قيل إنّه((تذكّرون تذكّراً قليلاً))(٥٠).

كذلك حذف حرف القسم وفعل القسم والمقسم به من الآية(وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ)(الأعراف:١٠) وهذا الحرف معلوم من قرينة جواب القسم الذي تتصدره لام القسم. وجيء بالقسم لتوكيد مضمون الآية الذي يُبيّن نعمة التّمكين في الأرض ، وما جعل الله فيها من معايش للناس. وحذف المصدر وذكر صفته(قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ)((والخطاب للمشركين خاصة ؛ لأنّهم الذين قلّ شكرهم لله تعالى إذا اتخذوا معه آلهة))(٥١). وكذلك لم يذكر القسم في(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ)(الأعراف:من الآية١١) لدلالة لام القسم عليه. والآية ترتبط بما قبلها بأسلوب القسم المحذوف منه القسم فيهما ، وفي وحدة السياق المصوّر نعمَ الله سبحانه على الناس جميعاً.

ونجد النصّ بعد مسافة من التّعبير يفاجئنا بتركيب متميّز في الآية(إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)(الأعراف:٤٠) وهو(لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ) الذي حذف منه الفاعل وهو الآيات(٥٢) ؛ لأنّ السّياق يركّز على المكذبين بآيات الله. ولفظ الآيات مذكور فيه. فيكون المعنى(لا تُفتّحُ الآياتُ أبوابَ السّماء). والذي يراه الباحث ـ والله العالم ـ أنّ الفاعل هو الملائكة وهم الرّسل الذين يتوفون النّفوس. وقد صرّح النصّ بلفظهم في (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ)(الأعراف:٣٧) فهؤلاء المكذبون تأتيهم الملائكة تتوفاهم ، فيُدخلونهم النارَ فيخلدون فيها ، ولا تفتح لهم الملائكةُ بإذن الله أبوابَ السّماء حتى لا يعرجوا إلى الجنة.

وتنتقل السّورة إلى مشهد القيامة والنتيجة النّهائية في الدّخول إلى الجنة أو النار ، ونجد الكلّ معترف بحقيقة ما وعدوا (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)(الأعراف:٤٣-٤٤)

في مجريات المناداة ينقل لنا النصّ جملة(وَنُودُوا) وقد حذف الفاعل. وقيل هو منادٍ ينادي أهل الجنة

بالكرامة(٥٣) ، وقيل هو الله(٥٤) ولا منافاة بين التقديرين ؛ لأنّ فعل المنادي هو فعل الله تجلّى في المنادي نفسه أيْ أنّ الله مكّنه من القيام بالفعل. وهنا يتجلّى الاعتراف بأقوى صوره ، وهو القسم المحذوف(لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ)أي : والله لقد جاءتْ((وفي هذا الاعتراف وسائر الاعترافات المأخوذة من الفريقين يوم القيامة من قبل مصدر العظمة والكبرياء ظهورٌ منه تعالى بالقهر وتمام الربوبية))(٥٥). لأنّ المشهد بتمامه يصوّر لنا ظهورَ الحقّ في ذلك اليوم الحقّ الذي لا باطل فيه. ونرى في الآية الأخرى حذف المفعول به من جملة(وَعَدَ رَبُّكُمْ) في حين ذكره في جملة(وَعَدَنَا رَبُّنَا) والقصد من حذفه أنْ يكون الفعل مطلقاً ، فيشمل((كلّ ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب ، وسائر أحوال القيامة ، لأنّهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ، ولأنّ الموعود كلّه ممّا أساءهم ، وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم ؛ فأطلق لذلك))(٥٦).

ثم يتحوّل السّياق إلى قصة نوح عليه السلام فيقول : -

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)(الأعراف:٥٩)

ويؤكّد النصّ دلالته(الرّسالة) المترابطة بحضورها في الآياتُ ، فالآية تمثّل تطبيقاً من تطبيقات الواقع العملي لأداء الرّسالة علي يدي الرّسول نوح عليه السلام مع توكيد إرسال نوح إلى قومه بالقسم المحذوف من أول الآية لوجود لام القسم قرينة على المحذوف.

ونجد قصة النبي صالح عليه السلام في الآية مصداقاً ثانياً ينضمُّ إلى سلسلة الرّسل المتّصلة في الواقع النصيّ والواقع الخارجي لتغطية جميع مسارات النصّ ، وملء أزمنة الفضاء الخارجي بعطر الرّسالات الممتدة على طول التاريخ البشري (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ)(الأعراف:٧٥) وحذف الفاعل من الفعل(اسْتُضْعِفُوا) لوجوده في مقدمة الآية وهو الذين استكبروا ، فهم الذين أذلّوا المستضعفين واستعبدوهم ((لأنّ زعامة الذين استكبروا كانت قائمة على السيادة الدنيوية الخلية عن خلال الفضيلة من العدل وحبّ الإصلاح فلذلك وصف الملأ بالذين استكبروا ، وأطلق على العامة وصف الذين استعفوا))(٥٧).

كذلك حذف فاعل الفعل(أُرْسِل) لأنه مذكور في السؤال(مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ) وهو الله تعالى الذي أرسله. وقد ذكره النصّ في قصة نوح عليه السلام التي تقدّم ذكرها وهو قوله(لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا) التي عطف عليها قصة صالح عليه السلام في قوله(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا)(الأعراف:من الآية ٧٣) فضلاً عن أنّ فعل إرسال الرّسل مختصّ بالله سبحانه. والحذف نفسه حدث في كلام النبي شعيب عليه السلام (وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)(الأعراف:٨٧) من الفعل (أُرسلتُ)

لوضوحه من خلال القرائن المذكورة فيما قبلهَ. مع التّكرار للفعل نفسه(أرسل) الذي هيمن على معنى السياق ؛ ليواصل ترابطه المعنوي بما قبله وبما بعده مع تنوع تفاصيل الحدث واختلاف جزئيات المواقف في كلّ لقطة نصيّة تحكي وتصوّر قصة من قصص الأنبياء والمرسلين.

ويأتي النصّ بقصة موسى عليه السلام ونجد فيها حذفاً في الحوار الذي دار بينه وبين السّحرة في قوله تعالى(قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ) ﴿الأعراف :١١٩- ١١٩﴾

(وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ) والمحذوف هو المفعول به للفعل(تُلْقِى) وقد كشفه السياق في الآية المتقدّمة وهي (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ)(الأعراف:١٠٧) هي العصا التي ألقاها أمام فرعون قبل أن يأتي السحرة كما أنّها مذكورة في(أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) فلا حاجة لذكرها مرة ثالثة كما أنّ المقام يتطلب بيان((التخيير في الابتداء بالإلقاء))[٥٨].

وحذف المفعول به من الفعل(قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا) ﴿الأعراف : من الآية ١١٦﴾ لخلق الانتظار لدى المتلقي لمعرفة ما سيلقون. و الحذف يناسب الواقع الخارجي ؛ لأنّ فعل الإلقاء غير حاصل بعد في صيغة الطلب. ولكن لم يُذكر الملقَى عند حدوث الفعل لأنّ النصّ يركّز على النتيجة المترتبة على ما ألقوه. وهي سحر النّاس وتخويفهم بسبب السّحر العظيم.

ويبدو أنّ سرعة الموقف وما يناسب الإلقاء والسّحر من الخفة والسّرعة والتحدّي أظهر النصّ موجزاً ، فحذف بعض أحداثه وتفاصيله من قوله(أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) ﴿الأعراف من الآية : ١١٧﴾ فلا ريب في أنّ موسى عليه السلام قد ألقى عصاه امتثالاً لأمر الله تعالى ووحيه بالإلقاء. وقد تحولت حية تسعى وغير ذلك ممّا لم يشر إليه النصّ((وفي الآية وجوه من الإيجاز ظاهرة ، والتقدير : وأوحينا إلى موسى بعدما ألقوا أنْ ألقِ عصاك فإذا هي حية وإذا هي تلقفُ ما يأفكون))[٥٩]. ويتجلّى الحذف في (فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ) ففاعله محذوف تقديره((غلب موسى فرعون و جموعه))[٦٠]. وهو جلي في التحدّي بين الطرفين ، فهو قد غلبهم في هذا التحدّي بإذن الله تعالى.

وفي قوله (وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ) حذف الفاعل أيضاً ، والآية تُبيّن سجودهم وشدّة خرورهم كأنّما ألقاهم ملقٍ ، ولم يتمالكوا أنفسهم ممّا رأوا[٦١]. فالفاعل السحرة و((هم الذين ألقوا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين ، وذلك للإشارة إلى كمال تأثير آية موسى فيهم وإدهاشـــها إياهم فلم يشعروا بأنفسهم حين ما

شاهدوا عظمة الآية وظهورها عليهم إلا وهم ملقون ساجدون فلم يدروا من الذي أوقع بهم ذلك))[٦٢].

وتظهر نتيجة الصراع بين الحق والباطل بانتصار الأول واندحار الثاني قال تعالى :

(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ)(الأعراف:١٣٧) فهنا يحذف النصّ الفاعل من الجملة الفعلية(يُسْتَضْعَفُونَ) مرة ثانية كما في قصة النبي صالح عليه السلام المتقدّمة. والفاعل واضح وهو فرعون المذكور في الآية عينها.

وذكر النصّ وصفَهم هذا((ليدلّ على عجيب صنعه تعالى في رفع الوضيع ، وتقوية المستضعَف وتمليكه من الأرض ما لا يقدر على مثله عادة إلا كل قوي ذو أعضاد وأنصار))[٦٣]. وفي النصّ حذف الحرف في(قَالَ ابْنَ أُمَّ)(الأعراف:من الآية ١٥٠) والمحذوف ياء النداء ، وكذلك ياء المتكلّم. فيكون التّركيب الأساس(يا ابن أمّي) و حُذف الحرف للإيجاز وللتّركيز على ذكر الأمّ بعد حذف ياء النّداء وياء المتكلّم ، وإنّ في معنى الأمّ ((استعطافاً له على نفسه برحم الأمّ))[٦٤]. فإنّ هارون يذكر الرّابطة القوية بينه وبين أخيه موسى وهي الرّحمة المتجلّية في أمّهما. لذلك نرى موسى عليه السلام في هذا الموقف يندفع داعياً ربّه بالرّحمة الواسعة التي هي مصدر كلّ رحمة في الوجود ومظاهره(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)(الأعراف:١٥١)

ولعل آخر ما يظهر من تجليات هذه الظاهرة في السّورة ما جاء في قوله تعالى(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)(الأعراف:٢٠٤) ففيها يظهر الفعل(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ) مبنياً للمجهول. ولم يذكر فاعله ، فقيل((إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله))[٦٥]. فيكون فاعله الرّسول ، ويخصّص فعل القراءة في زمن نزول القرآن الكريم. وقيل((إذا قام الإمام للصلاة فاستمعوا له وأنصتوا))[٦٦]. فالفاعل في ضوء هذا الفهم هو إمام الصلاة والقراءة في الصلاة فقط. وقيل دلالة الآية عامة[٦٧]. فالفاعل يُفهم من فعله وهو القارئ الذي يقرأ القرآن في أيّ وقت ومكان. وهذه الآية تُظهر قيمة القرآن في قراءته وفي استماعه وفهمه ، وأثره في إنزال الرّحمة في أجواء دراسة القرآن ، وفتح مجالات العناية به وتوسيع دائرة حضوره في الواقع المعاش. فيكون القرآن الثمرة النهائية من ثمرات العطاء الإلهي عن طريق الإرسال الذي ينبغي أنْ يكون هو الظاهر في مسرح الحياة كما كان ظاهراً على معطيات لغة السّورة المباركة ، ومتجسداً في الأفراد كما تجسّد في مغزاها و هويتها .

رابعاً ـ التعليل

من الظواهر النّحويّة البارزة في السّور القرآنية التي تكثر فيها بصورة واضحة ، لتعمل على ترابط بنية السّورة وشدّ آياتها بعضها ببعض ، وهي دليل على حكمة المبدع المتجلّية في قرآنه المجيد وكتابه الحكيم ،

وسنته في جعله لكل شيء سبباً ، وهي دليل على إتقان النصّ نفسه. وسننظر في بعض السّور ، ونتأمل فيها لتتضح لنا أهمية التّعليل النّحويّ في فهم السّورة ، ونبدأ بسورة الفتح التي تبدأ ببيان عنوانها (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينً)(الفتح:١)

وهو الفتح من الله تعالى لرسولهﷺ في صلح الحديبية مع المشركين على ترك القتال ، فحفظهم من شوكة قريش ثم أدّى ذلك إلى فتح مكة الذي أذهب شوكة قريش ، واستعمل النصّ لام التعليل(لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا)(الفتح:٢) ليُظهر علة ذلك الفتح المبين أنّها الذّنب الذي هو تبعة دعوته لنشر الرّسالة وتحطيم الوثنية و((قيام النبي(ﷺ) بالدعوة ونهضته على الكفر والوثنية فيما تقدم على الهجرة وإدامته ذلك وما وقع له من الحروب والمغازي مع الكفار والمشركين فيما تأخر عن الهجرة كان عملاً منه (ﷺ) ذا تبعة سيئة عند الكفار والمشركين ... غير أنّ الله سبحانه رزقه(ﷺ) هذا الفتح ... فذهب بشوكتهم وأخمد نارهم فستر بذلك عليه ما كان لهم عليه(ﷺ) من الذنب وآمنه منهم))[٦٨].

والآيات الثلاث الأُول تمثّل المعلول وهو الفتح وعلله التي هي المغفرة وستر تبعات الرّسالة والجهاد في سبيل الله التي يعدّونها ذنباً كبيراً ارتكبه الرّسول بحقهم ، والعلة الثانية إتمام النعمة والعلة الثالثة الهداية ودوامها والعلة الرّابعة النّصر العزيز. فالله تعالى مهّد له ذلك لتمام الكلمة وتصفيه الجوّ له وهداه إلى الطريق الموصل إلى الغاية في بسط الدّين في الجزيرة ونصره في فتح مكة والطائف وانتشار الإسلام[٦٩].

ويظلّ النصّ منصهراً في معنى السّببية والعلية في رسم مساره في الآيات اللاحقة إذ يقول(هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا * وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)(الفتح:٤-٦)

هنا تظهر فاعلية الله تعالى في إنزال السّكينة في قلوب المؤمنين وهي أمر معنوي أوجدها سبحانه في أنفسهم ، وغاية إيجادها زيادة إيمانهم بدليل لام التعليل((وجعل ذلك الازدياد كالعلة لإنزال السكينة في قلوبهم ؛ لأنّ الله علم أنّ السكينة إذ حصلتْ في قلوبهم رسخ إيمانهم))[٧٠]. ويواصل السّياق بيان العلّية في سبك النصّ بوساطة أداة التّعليل اللام في الآية رقم(٥) لأنّ إنزال السّكينة في قلوب المؤمنين من علله أيضاً دخولهم الجنات الذي هو حقيقة لزيادة الإيمان و((خصّ المؤمنين بإنزال السكينة ... ليزداد إيمان هؤلاء مع إيمانهم وحقيقة ذلك أنْ يدخل هؤلاء الجنة فيكون قوله(ليدخل) بدلاً أو عطف بيان من قوله

:(لِيَزْدَادُوا)...))[٧١]. وكذلك الآية رقم(٦) مندرجة بوساطة العطف في النسق التعليلي ومرتبطة دلالياً مع دلالته الكلية لهذا المقطع القرآني.

ويأتي التّعليل رابطاً بين آيتين هما(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)(الفتح:٨-٩) فلما تبيّن في الآية الأولى وظائف الرّسول الثلاث الشّهادة والتّبشير والإنذار اتّضح بعدها الهدف منها وهو الإيمان بالله تعالى وبالرّسول و تعزير الله ونصره وتوقيره وتعظيمه وتسبيحه. ويفصّل النصّ ذلك الفتح وما يحصل فيه من مغانم للمسلمين التي وعدوا بها كما في قوله (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا)(الفتح:١٥) فأتى التّعليل باللام للإبلاغ بأنّ((المغانم حاصلة لهم لا محالة))[٧٢].

ويواصل التّعليل فائدته البيانية في إظهار الآثار الناتجة عن الفتح المبارك لدى المسلمين في قوله تعالى (لِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)(الفتح:من الآية٢٠) فجاء هذا التعبير بعد الحديث عن الغنائم ؛ ليؤسس لأمر أعظم من الفائدة المادية التي ينالها المسلمون من الفتح ، فهنالك آثار معنوية باقية وفي الكلام هنا((عطف على مقدر أي وعدهم الله بهذه الإثابة إثابة الفتح والغنائم الكثيرة المعجلة والمؤجلة لمصالح كذا وكذا ولتكون آيةً للمؤمنين وأمارة تدلهم على أنهم على الحق ، وأنّ ربهم صادق في وعده ونبيهم(ﷺ) صادق في إنبائه))[٧٣].

ويدخل النصّ في تفاصيل الفتح ببيان علاقة المسلمين أثناء القتال بغيرهم من المشركين مع وجود المؤمنين المختلطين بالمشركين في مكة معلّلاً مجرى السياق اللغوي الآتي(وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)(الفتح: من الآية٢٥)

فالفعل(لِيُدخل) المسبوق بلام التعليل يكشف مع اللام السبب وراء كفّ أيدي المؤمنين من قتال مشركي مكة((ولكن كفّ أيديكم عنهم ليدخل في رحمته أولئك المؤمنين والمؤمنات غير المتميزين بسلامتهم من القتل وإياكم من إصابة المعرّة))[٧٤]. و يلخّص النصّ الغاية من إرسال الرسول الأعظمﷺ وهي الفتح الأوسع. وكأنّ السورة التي حملتْ عنوان(الفتح) تستشرف فتحاً أكبر يتمثل في قوله سبحانه(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) (الفتح:٢٨) فالعلة من إرساله هي إظهار دين الإسلام على جميع الأديان في هذا العالم((واللام ... لتعليل فعل(أرسل) ومتعلقاته ، أي أرسله بذلك ليظهر هذا الدين على جميع الأديان الإلهية))[٧٥].

إذا التّعليل ظاهرة لغوية وظفتْ في هذه السّورة لبيان العلل الموجودة في إيجاد الآيات ومعانيها ، وقدّمتْ لنا تعليلاً وشرحاً لعنوان السّورة المباركة في الأفق القريب. وهو فتح الحديبية مع بيان نتائجه المادية

والمعنوية على المؤمنين. وفي الأفق البعيد الذي سينتج فيه فتح أكبر ، وهو تجلّي الدّين المحمّديّ في جميع العالم واضمحلال الأديان الأخرى.

سورة(الزلزلة)

هذه السّورة العظيمة تصوّر مشهد الآخرة والأحداث الرّهيبة المتقدّمة عليه بمعان متجهة نحو هدف واحد وهو ظهور أعمال الإنسان في ذلك اليوم الحقّ ، وهو الغاية التي جعلها النصّ لجميع مضامينه المتحرّكة نحو ذلك الهدف إذ يمرّ البيان القرآنيّ في نسق التّعليل البياني بمحطتين : الأولى تحديث الأرض بأخبارها (يَوْمَئِذ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا)(الزلزلة:٤) كونه إطاعة لوحي ربّها((وقوله : " بأنّ ربَّك أوحى لها " اللام بمعنى إلى لأنّ الإيحاء يتعدى بإلى والمعنى تحدّث أخبارها بسبب أن ربك أوحى إليها أن تحدث فهي شاعرة بما يقع فيها من الأعمال خيرها وشرها متحملة لها يؤذن لها يوم القيامة بالوحي أن تحدث أخبارها وتشهد بما تحملت))[٧٦].

وذلك التّحديث والإخبار يقع مقدمة لموضوع رؤية الأعمال ؛ لأنّ حديثها يكشف تلك الأعمالَ التي جرتْ عليها ، فهي شاهدة تعلم بأعمال مَنْ سكنوها ثم انتقلوا عنها((قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (يومئذ تحدث أخبارها) قال أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول : عمل يوم كذا وكذا كذا كذا. قال : فهذه أخبارها))[٧٧].

والمحطة الثانية هي المرحلة النهائية لنسق التّعليل في(يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) (الزلزلة:٦) المتمثلة بصدور الناس أشتاتاً لرؤية كلّ إنسان عملَه الذي سعى إليه ، وقام به. متّضحاً بوساطة حرف اللام ذي دلالة العلّة والسّببية ، فالأعمال في ذلك العالم حاضرة أمام عاملها مرتبطة بوجوده. فهو يسعد برؤية أعماله الحسنة أو يشقى برؤية أعماله السيئة. وتمحورتْ حول هذا المعنى أكثر آيات السّورة الكريمة مكثفةً الجهة التّعليلية في البيان القرآنيّ ؛ لتحقيق الارتباط بين الآيات معنى ونسقاً. وخلق الظاهرة النّحويّة الحاكية عن النّظام السّببيّ الفاعل في بناء سياق السّورة التي هي أيضاً حاكية بدورها عن ذلك النّظام الوجودي القائم على الأسباب والمسببات التي تحكي عن إرادة مبدعها الحكيم.

الخاتمة

تجاوز البحث دراسة المعنى النحوي في الجملة أو التركيب إلى دراسة الظاهرة النحوية في سياق السورة القرآنية ؛ لأنّ المعنى القرآني مترابط يتكامل بتتبعه في جميع آيات السورة التي تتفاعل كلّها في استلهام الدلالة واستيعابها ، وتزوّد الباحث بأدوات تفسيرية كثيرة لا يجدها عندما يتأمّل في بحثه في التركيب المحدود في الألفاظ وفي المعنى ؛ فضلاً عن الغنى المعرفي الذي يستشعره عند توسيع وجهة نظره البحثية إلى النصّ ووحدته المتجلية في هذا النمط القرآني البديع المسمّى(السورة).

ولا تقف الفائدة عند هذا المعطى في السعة المعرفية بل يحصل المتلقي للسورة القرآنية على قدرة تأملية وتدبّر متواصل ، يجعلانه ينظر ويحدّد ويفسّر ويقارن ويكشف وسائل الربط اللفظية والمعنوية فيتوصل إلى قراءة أعمق وفهم جديد عن طريق فهم الظاهرة النحوية بجميع تشكلاتها ، ويظل متوسلاً بالجهود

التفسيرية التي بذلها أبرز علماء التفسير ومسايراً لقواعدها العامة في فهم المعنى القرآني تحت مظلة السياق القرآني في السورة.

تناول البحث أربعة ظواهر نحوية في مجموعة من السور وهي : التقديم والتأخير ، والتوكيد ، والحذف ، والتعليل. وركّز على مظاهرها في كلّ سورة على حدة متوسلاً بالفهم التفسيري المتحقّق في المدارس التفسيرية التي استوثقت بالسياق ، فاتضح في البحث رؤية ترابطية تتمثّل في ما يأتي :

١- الظاهرة النحوية متأصلة في سياق السورة. ولها حضور وفير فيه وامتداد نصّي واسع وأدوات لغوية متعددة. لا يستطيع هذا البحث استقراءها بتمامها ، بل يلوح للباحثين بالأخذ بدراستها مفصلةً ؛ لكي يحاولوا الوصول إلى قانونها المقدّس الذي أوجده مبدع القرآن الحكيم.

٢- الظاهرة النحوية لها ارتباط متعدد الجهات في السورة مثل ارتباطها بالعنوان ، فهي تعمل على استقراره في بناء السورة ، فتجعله متواجداً في مقاطع السورة ، كما أنّها تفرز بيانات دلالية لشرح عنوان السورة أو تجعل المعنى مرتدّاً إلى ذلك العنوان. أو تتكثف الظاهرة لتكوين علاقات نصيّة فيما بين عناصرها أينما وجدتْ في السورة.

٣- تشكّل الظاهرة النحوية الموجودة في السورة مقاطع نصية في السورة تكوّن حلقات متتالية ؛ وتخلق علاقات ارتباط فيما بين تلك المقاطع ؛ ليتكامل بوساطتها المعنى العام للسورة.

٤- قد تبني الظاهرة النحوية نسقاً لغوياً متصلاً يعبّر عن نظام دلالي هو حاكٍ عن نظام وجودي لوجود علاقة الربط والارتباط بين النظامين اللذين أوجدهما منزل النصّ وخالقُ الكون سبحانه وتعالى. و هذا البحث يفتح أفق التلقي والفهم لدراسة ذلك النسق المندمج مع سياق القرآن المهيمن على جميع سياقات التلقي.

وتبقى الظاهرة النحوية منفتحة لتلقٍ جديد يُسهم في إنتاج فهم أعمق وأدقّ مّما أتى به البحث وهذا الأمل يختلج في صدر الباحث ؛ ليتجه الباحثون نحو دراسات غير نمطية تفيد من النتاج العلمي المتداول ، وتفتح أبواب جديدة في طريق البحث المأمول فيما سيأتي من الزمان ؛ لملء الفراغ الذي يستشعره الوعي الإنساني المتجدّد و لتجاوز التكرار المتراكم في الثقافة الإسلامية المنتجة في الزمن الحاضر(الدرس النحوي القرآني) ممّا يؤثر في عملية التلقي ونفور القارئ عن هذا التصوّر الساذج والفهم السطحي في حين أنّ الدارسين أمام نصّ لا حدود لعطائه في جميع جهات التلقي سعة وكثرة وعمقاً وسراً.

Abstract

The researcher has examined the grammatical phenomenon in Qur'anic Suras' context going far beyond sentences and individual structures, simply because the Qur'anic text has a linguistic context related to Suras' construction which then forms meaning by its various structures used in the whole Suras' verses. The researcher has investigated four grammatical phenomena: foregrounding and backgrounding, emphasis, deletion, and causation. Each of these phenomena has varieties which have been analysed, compared and contrasted, and explained to expose the kind of relations between them. As a result, it has become clear that grammatical phenomena play an essential role in constructing meaning; such phenomena require more investigations to

disclose its rules in all Qur'anic Suras, for these phenomena lead to meaning production deeply and more clearly by the manipulation of such grammatical varieties which work together in producing meaning. In the end, this study attempts to shed light on these phenomenal grammatical relations in Qur'anic grammatical lessons to further investigate and research on this topic to find out its scope and manifestations.

هوامش البحث

١- نحو النصّ بين الأصالة والحداثة : ٤٠ – ٤١.
٢- علم لغة النصّ - المفاهيم والاتجاهات : ١٢٢ - ١٢٣.
٣- نحو النصّ - إطار نظري ودراسات تطبيقية : ١٠٥.
٤- ينظر: دلائل الإعجاز:٩٥-١٠٦. و بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم في أجزائه الثلاثة.
٥- التحرير والتنوير:٢٩/٩-١٠.
٦- الميزان: ٣٤٩/١٩.
٧- المصدر نفسه:٣٤٩/١٩.
٨- تفسير ابن عربي :٣٧٧/٢.
٩- التبيان في تفسير القرآن:٥١/١٠.
١٠- ينظر : روح المعاني:١٧/٢٩.
١١- التحرير والتنوير:١٤١/١٢-١٤٢.
١٢- نفسه: ١٤٨/١٢-١٤٩. والميزان:٣٠٥/١١.
١٣- الميزان:٣٠٥/١١.
١٤- عمدة التفسير : ٣١٨/٢.
١٥- ينظر: الميزان:٣١٩/١١. والتحرير والتنوير:١٥٩/١٢.
١٦- ينظر : روح المعاني:١٥٧/١٣.
١٧- ينظر: المصدر نفسه :١٩٥/١٣.
١٨- التحرير والتنوير:١٦٧/١٢.
١٩- ينظر: المصدر نفسه :١٧٠/١٢.
٢٠- الميزان:٣٤٠/١١.
٢١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٥٠٥/١٣.
٢٢- ينظر:التحرير والتنوير:١٧٦/١٢.
٢٣- ينظر:روح المعاني:١٨٤/١٣.
٢٤- الميزان:٣٥٣/١١.
٢٥- ينظر: روح المعاني:١٨٧/١٣.
٢٦- ينظر:التحرير والتنوير:١٨٥/١٢.
٢٧- الميزان:٣٦٥/١١.
٢٨- الكشاف: ٣٥٦/٣.
٢٩- الميزان:٣٧٤/١١.
٣٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن:٥٥٨/١٣.
٣١- الميزان:٣٧٤/١١.

٣٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٥٦٧/١٣.
٣٣- ينظر:مجمع البيان:٣٨٢/٩.
٣٤- ينظر: التحرير والتنوير:٣٢٥/٢٧.
٣٥- ينظر:المصدر نفسه:٣٣٠/٢٧.
٣٦- التبيان في تفسير القرآن:٤١٦/٩.
٣٧- تفسير القرآن الكريم:١٨٧/٦.
٣٨- التبيان في تفسير القرآن:٤٢٠/٩.
٣٩- ينظر:الميزان:١٢٠/٢٠.
٤٠- المصدر نفسه:٣٥٠/٢٩.
٤١- ينظر:الميزان:١٢٥/٢٠.
٤٢- روح المعاني:٢٣٩/٢٩.
٤٣- ينظر:الميزان:١٢٨/٢٠.
٤٤- ينظر:التحرير والتنوير:٣٦٢/٢٩.
٤٥- الميزان:١٢٩/٢٠.
٤٦- التحرير والتنوير:٣٦٦/٢٩.
٤٧- ينظر:الميزان:١٤٠/٢٠. والتحرير والتنوير:٣٧٣/٢٩.
٤٨- الكشاف : ٤٢١/٢.
٤٩- معاني القرآن وإعرابه : ٢٥٤/٢.
٥٠- الميزان : ٧/٨.
٥١- الكشاف : ٤٢٢/٢.
٥٢- التحرير والتنوير : ٢٧/٨.
٥٣- ينظر : الكشاف :٤٤٢/٢.
٥٤- ينظر :جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٠٢/١٠.
٥٥- ينظر : التحرير والتنوير : ١٠٣/٨.
٥٦- الميزان : ١١٦/٨.
٥٧- الكشاف : ٤٤٥/٢.
٥٨- التحرير والتنوير : ١٧٢/٨.
٥٩- الميزان : ٢١٥/٨.
٦٠- المصدر نفسه : ٢١٦/٨.
٦١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٣٦١/١٠.
٦٢- ينظر : الكشاف : ٤٨٧/٢ - ٤٨٨.
٦٣- الميزان : ٢١٦/٨.
٦٤- المصدر نفسه : ٢٢٨/٨.
٦٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٤٦٠/١٠.
٦٦- الكشاف : ٥٤٨/٢.
٦٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٦٦٣/١٠.

٦٨- الميزان : ٢٥٤/١٨.
٦٩- المصدر نفسه : ٢٥٧/١٨-٢٥٨.
٧٠- التحرير والتنوير : ١٢٦/٢٦.
٧١- الميزان : ٢٦٣/١٨.
٧٢- التحرير والتنوير:١٤١/٢٦.
٧٣- الميزان :٢٨٦/١٨.
٧٤- المصدر نفسه : ٢٨٨/١٨.
٧٥- التحرير والتنوير : ١٧٠/٢٦.
٧٦- الميزان : ٣٤٢/٢٠.
٧٧- المستدرك على الصحيحين :٥٣٢/٢.

قائمة المصادر والمراجع

- تفسير ابن عربي ـ محيي الدين محمد بن علي الطائي الحاتمي . ضبطه وصححه وقدّم له الشيخ عبد الوارث محمد علي ط ٣ . دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان . ٢٠١١ م.
- تفسير القرآن الكريم ـ محمد بن إبراهيم الشيرازي . تصحيح محمد خواجوي ، انتشارات بيدار ـ إيران ١٣٤٣ هـ . ش.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن – أبو جعفر محمد جرير الطبري(ت : ٣١٠ هـ) تحقيق عبد الله بن محسن التركي ، دار هجر ،ط١ـ القاهرة ١٤٢٢ هـ /٢٠٠١ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ـ أبو الفضل محمود الآلوسي . ط١ ، دار إحياء التراث العربي .بيروت / لبنان ـ ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م.
- علم لغة النصّ ـ المفاهيم والاتجاهات ـ أ . د . سعيد حسن بحيرى . ط١ ، مؤسسة المختار ـ القاهرة ، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤ م.
- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (مختصر تفسير القرآن العظيم) أحمد شاكر . ط٢ ، دار الوفاء مصر ـ ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م.
- معاني القرآن وإعرابه ـ أبو اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج(٣١١ هـ) شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة . ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤ م.
- التبيان في تفسير القرآن ـ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق أحمد حبيب قصير. دار الأميرة ، ط١ بيروت / لبنان ، ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠ م.
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ـ محمد الطاهر ابن عاشور . مؤسسة التاريخ ، ط١ ـ بيروت / لبنان.١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت :٥٣٨ هـ)- تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوّض ، ط١ الرياض ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.
- المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري. وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي رحمهما الله طبعة مزيدة بفهرس الأحاديث الشريفة بإشراف د . يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
- الميزان في تفسير القرآن – محمد حسين الطباطبائي . مؤسسة النشر الإسلامي ، ط٧ – إيران ، ١٤٢٣هـ.
- نحو النّصّ ـ إطار نظري و دراسات تطبيقية ـ عثمان أبو زنيد . ط١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع. إربد / الأردن ، ١٤٢٣١ هـ ـ ٢٠١٠ م.
- نحو النّصّ بين الأصالة والحداثة ـ د . أحمد محمد عبد الراضي . ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة ، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م.